Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

سيميائية الفضاء المكاني في الرواية الجزائرية المعاصرة

The spatial space semiotics of the contemporary Algerian novel

لخذاري سعد lakhdari saad

جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة، مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب بجامعة المسيلة

University of Akli Mohand Oulhaj Bouira, Linguistics and Speech Analysis Laboratory at Masila University

lakhdari.saad@yahoo.com

تاريخ الاستلام : 2019-07-31 **تاريخ القبول :** 2020-02-06

ملخص

لطالما أخذ مفهوم الفضاء وتشكيلاته أهمية كبرى في التنظير للعمل الروائي في المغرب العربي وغيرها من الأقطار، نظرا لما يأخذه الفضاء المكاني من أهمية في تشكيل وقراءة العمل الروائي، لأن المكان من أهم العناصر التي تمنح النص سرديته، ولأن الرواية الجزائرية المعاصرة تأسست وفق فضاء مكاني، ارتأينا أن نجري قراءة سيميائية في هذا العنصر، بما يمنحه من خصوصية للرواية الجزائرية وقدرتها على الوجود والتميز، كما أن هذا الفضاء يوسم بالتشابك والتعقيد والترميز، مما يستدعي قراءة سيميائية متأنية في هذا التشكيل.

كلمات مفتاحية: سيميائية، الفضاء، المكان، الرواية الجزائرية.

Abstract

The concept of space and its formations has always taken great importance in the theory of narrative work in the Maghreb and other countries, because spatial space takes importance in the formation and reading of novel work, because the place is one of the most important elements that give the text its narrative, We think that we are reading semiotics in this element, which gives it the peculiarity of the Algerian novel and its ability to exist and excellence, and this space is marked by entanglement, complexity and coding, which calls for careful reading of the semiotics in this composition.

Keywords: Semiotics, space, place, Algerian novel

مقدمة

لقد احتلت الرواية الجزائرية المعاصرة مكانة مميزة بين روايات أقطار العالم، ومن أجل ذلك حظيت بالترجمة والقراءة والدراسة، وما ميّز الرواية الجزائرية عناصرها التي تتركب منها، لاسيما الفضاء المكاني، بما يمنحه من تكثيف دلالي وزخم سيميائي عميق، وهذا ما استوقفنا في هذا البحث؛ بأن نقارب عنصر المكان كفضاء سيميائي تحتفي به روايات الكتاب الجزائيين، فتقربنا من مجموعة من الروايات الجزائرية التي احتلت مكانة هامة لدى القراء والنقاد، لنفتّق الدلالات ونكتشف أغوار الزمان والمكان بنظرة متأنية فاحصة.

2) تحديد المفاهيم

2-1) السيمياء

من الناحية اللغوية كلمة "سيمياء" آتية من "سوم"، جاء في "لسان العرب" ل "ابن منظور" (ت711ه) مايلي:" سوم، السّوم: عرض السلعة على البيع"[1]، و " السّومة والسّيمة والسّيماء: العلامة. وسوّم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عز وجل:{ حجارة من طين، مسوّمة عند ربّك للمسرفين}، قال الزجاج: روي عن الحسن أنّها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذّب الله بها"[2]؛ فالسيمياء الآتية من لفظة سوم تعني العلامة التي تظهر للناظر ويفهم بها معنى ودلالة، والسومة تتعدد وتتم بالمواضعة على جعلها تدل على شيء، ولهذا كان العرب قديما يعتبرونها لغة تسند إلى اللغة البشرية حتى تؤدي وظيفة في الفهم والتعرف والكشف.

أما من الناحية الاصطلاحية فإن السيمياء أو:" السيميولوجيا (السيميوطيقا) لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة...وتنتمي السيمياء...في أصولها ومنهجيتها إلى البنيوية، إذ البنيوية نفسها

منهج منتظم لدراسة الأنظمة الإشارية المختلفة في الثقافة العامة..."[3] و" علم السيمياء شأنه شأن الأنشطة النقدية المعاصرة يرتبط ببيئة الفكر المعاصر، فهو في تركيزه على حياة العلامات في النص، ومعالجتها شكلانيا يشبه إلى حد بعيد نشاط النقد الجديد في اعتباره النص كيانا مغلقا على نفسه لا يحيل خارج ذاته. أما النشاط السيميائي الذي يرى نفسه جزءا من الدراسات الثقافية فيؤكّد تأكيدا حادًّا على أهمية القارئ وبهذا يتصل بنقد استجابة القارئ ونظرية الاستقبال"[4]؛ فالسيمياء علم حديث ومعاصر يدرس نظام اشتغال العلامات، وله امتداد كبير عبر مختلف الحقول الدراسية، فهو علم يدرس المعنى وكيفية كشفه، أي يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية، يعتمد على البنى السطحية الظاهرة المكشوفة ليتغلغل خلف البنى ويجلي المعاني العميقة الخفية، ولهذا درست السيمياء النصوص الأدبية وأنظمة الإشارات المختلفة: الآثار، الوشوم، الندوب، نظام البحارة، وإشارات المرور، والصور الفنية، والسينما والمسرح...فأينما كان هناك نظام معنوي معقد لا يكشف دلالاته بسهولة تأتي السيميائيات للكشف والتجلية والإيضاح والشرح.

2-2) الفضاء المكاني

ورد في "لسان العرب" أن:" فضا: المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضوا فضوًّا فهو فاضٍ...وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله صار في فُرجته وفضائه وحيزه...والفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض. يقال: أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء..."[5]؛ فالمعنى اللغوي للفضاء هو المكان المنبسط الفارغ الذي يمنح حرية النظر، ويحقق الاحتواء على مساحة، فله امتداد وحدود معينة، وهو لفظ معروف منذ القديم في اللغة العربية.

أما الفضاء حديثا فقد أخذ مفهوما إجرائيا عبر العلوم المعرفية المختلفة، خاصة السيميائيات، وصار ينسب إلى مصطلحات أخرى، كالزمان والمكان.

الفضاء المكاني :"...هو مكان تؤسسه اللغة ويتحدد جغرافيا، وقد يكون مدركا من قبل حواس الشخصية أو السارد، أو يكون استيهاما وحلميا وفردوسا مفقودا، وتنتجه الذات أو الشخصية عبر الاستيهامات والتذكر والأحلام ويتلخص في مجموع الأمكنة وتوابعها من أشياء ومؤثثات وغيرها"[6]؛ فلابد لكل رواية من فضاء مكاني يتحدد انطلاقا من لغة يستحدثها الكاتب، يمكن تخيله ومعرفة أبعاده وملامحه، فلما نقرأ الرواية فإننا نستحضر عناصر المكان سواءًا أكان قابلا للتجسيد أم لا، والمكان عنصر يحمل العديد من التفاصيل والجزئيات التي يبدع الكاتب في وصفها وتقريبها للقارئ.

نقل "حسن بحراوي" مفهوما للمكان عن "ر.بورنكوف وَ ر.وولي" (R.bourncuf et R.oullet) جاء فيه:"...يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث. فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوّي من نفوذها، كما يعبّر عن مقاصد المؤلّف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدّي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة، وبالتالي في تركيب السرد، والمنحى الدرامي الذي يتخذه"[7]؛ فأي رواية لابد لها من مكان تجري فيه الأحداث، فالمكان هو نسق منظم يعضد الرواية ويدعمها، كما أن المؤلف لابد له من مكان يعبر فيه عما يجول في خاطره، وما يحمله من مشاعر ورؤى، وبناءً على المكان يمكن أن نتلاعب بالعناصر الأخرى ونموضعها في وضعيات مختلفة، فهو جزء من العملية السردية، وهو عنصر يدعم ويساعد كل من المؤلف والقارئ معا.

3-2) الرواية

المعنى اللغوي للرواية جاءت من "روي":" وراوية...إذا كثرت روايته، والهاء للمبالغة في صفته بالرّواية. ويقال: روّى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه. قال الجوهري: رويت الحديث والشّعر رواية فأنا راوٍ في الماء والشعر، من قوم رواة. وروّيته الشعر ترويه أي حملته على روايته، وأرويته أيضا"[8]؛ فقد عرف العرب قديما لفظة رواية على أساس أنها النقل للكلام شعرا، أو نثرا بأمانة، وهناك من يروي الأحداث والأخبار والقصص، فالأمر يتعلق بقص شيء على جماعة مستقبلة لغرض الإفادة والفهم والتوضيح.

أما من الناحية الاصطلاحية حديثا فإن مفهوم الـ "الرواية" حسب "عبد الملك مرتاض":"...هي جنس أدبي راقٍ، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل؛ تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا يعتزي إلى

هذا الجنس الحظي، والأدب السَّريّ. فاللغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر. والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو، وتمرع وتخصب. والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين. ولكن اللغة والخيال لا يكفيان، وهما عامان في كل الكتابات الأدبية، من أجل ذلك نلفي الرواية من حيث هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء، تنشد عنصرا آخر هو عنصر السرد؛ أي الهيئة التي تتشكل بها الحكاية المركزية المتفرعة عنها حكايات أخريات في العمل الروائي"[9]؛ فالرواية ابتكار حديث له إرهاصاته قديما، جاءت لتعالج الكثير من المشاكل الاجتماعية، بأسلوب فني مميز، تتركب الرواية من عناصر يتفنن الكاتب في المزج فيما بينها، الزمان، المكان، الشخصيات، الأحداث، الخيال، بلغةٍ راقيةٍ فنية، ليست بالنثر ولا بالشعر، فهي بناء معقد، ونشاط لعلوم عديدة، كما يجب توفر عنصر السرد، وهو الخيط الناظم لعناصر الرواية والجامع للحكايات المركزية والفرعية.

3) سيميائية المكان في الرواية الجزائرية

لطالما تناولت الدراسات النظرية المكان كفضاء له دلالاته ورمزيته، وأبرز مثال على ذلك كتاب "غاستون باشلار" (Gaston bachelard) بكتابه "جماليات المكان"، وسنحاول تقصي أبرز الأمكنة المعبّرة عبر روايات الكتاب الجزائريين.

1-3) فضاء البيت

يعتبر "البيت" من الأماكن المغرقة بالترميز والإيحاءات، ولهذا فطن لدلالاته كل من الدارسين الغرب والروائيين الجزائريين المعاصرين، يقول "غاستون باشلار":"...وهكذا فإننا لا نعيش تجربة البيت يوما بيوم مثلما نعيش تسلسل قصة، خلال أحلام اليقظة تتداخل مختلف البيوت التي سكنّاها ونحتفظ بكنوز الأيام السالفة. وعندما نسكن بيتًا جديدًا، وتتوارد إلينا ذكريات البيوت التي عشنا فيها من قبل فإننا ننتقل إلى أرض الطفولة غير المتحركة، غير المتحركة كالذكريات البالغة القدم، نحن نعيش تثبيتات السعادة. إننا نريح أنفسنا من خلال أن نعايش مرة أخرى ذكريات الحماية، إن مكانا مغلقا يجب أن يحتفظ بذكريات، ويتيح لها في الوقت ذاته الاحتفاظ بقيمتها الأساسية كصور. إن ذكريات العالم الخارجي لن يكون لها قط نسق ذكريات البيت، وحين نستدعي هذه الذكريات فإننا نضيف إلى مخزن ذكرياتنا من الأحلام..."[10]؛ فالبيت مكان لاجتماع الكثير من المعاني والدلالات والإيحاءات تتضافر وتتشابك وتتعدد حتى تعطي انطباعا قويا على مسمع وملمح القارئ، ولهذا كثيرا ما كان الروائيون الجزائريون يوظفونه في رواياتهم، فالبيت من الأنساق الدلائلية التي تحمل الكثير، ما يدخل القارئ في حالة من الانشداد والتفاعل القوي، والاسترجاع.

يعتبر الروائي "أمين الزاوي" ممن برعوا في توظيف علامة البيت، ويمكن أن نمثل لذلك باقتباس من روايته "وحشة اليمامة" التي ورد فيها:" الآن أشعر أن السلّم عليه أن يكون هناك، وفي ذلك المكان، وبتلك الطريقة، وبذلك الحجم، وبذلك العدد من اللوحات الأفقية، وبتلك المسامير. أُدرك الآن أن هذه الدار الكبيرة بغرفها وحوشها بنيت بهذه الطريقة لتتناسب وموقع السلّم، فهو سابق عليها في الوجود. لقد كان زوج أختي بارعًا في قياس المسافة بين اللوح واللوح. وكأنه كان يعرف مسبقًا أن هذا السلم ستستعمله النساء أكثر من الرجال. لذلك فقد قلّص من المسافة بين الدرجات، وكأنّما يقوم بذلك على قياس خطوات زوجته..."[11]؛ فمن خلال هذا النص الروائي يدخل القارئ في الخيال ويتصور جنبات البيت والشخوص الذين يعيشون فيه، وكيف ستكون مواقفهم ونظراتهم لبعضهم، سوف يبدأ القارئ في طرح التكهنات وطرح الأسئلة والفضول الزائد حول مغزى المواصفات التي تطبع هذا البيت، وبهذا فإن البيت في الرواية مدعاةٌ للكثير من الرمزية والدلائل.

2-3) فضاء الطبيعة (الأفق الكبير)

لقد نجح في كثير من الأحيان الروائيون الجزائريون في اختلاق الصور المعبّرة الأخّاذة، التي تأخذ بلب وعقل الإنسان، يرى "باشلار" أن الكاتب:"...حين يقدم...بعدًا جغرافيا، فهو يعرف بشكل غريزي أن هذا البعد يجري تحديده في نفس اللحظة، بسبب كونه مغروسا في قيمة حلمية ما. وهكذا، فحين يتحدّث بيير جوجين عن (الغابة العميقة) –غابة بروسيلياند- فإنه يضيف بعدا، ولكنه ليس ذلك البعد الذي يمنح الصورة توترها. وحين يقول أن الغابة العميقة تسمى أيضا (الأرض الهادئة، بسبب صمتها الكبير، مخثرة في ثلاثين فرسخا من الخضرة) فهو يدعونا إلى الانخراط في هدوئها وصمتها. لأن الغابة تخشخش، فإن الهدوء المتخثّر يرتجف ويرتعش، فتنبعث فيها حيوات لا حصر

لها...حين نقرأ هذا النص في كتاب جوجين نحس أن الشاعر قد هدأ كل قلقه. سلام الغابة بالنسبة له يعني سلامه الداخلي، إنها حالة داخلية"[12]؛ فاختيار الصورة المناسبة هو ما يمنح الرواية حضورها وجاذبيتها، وتعتبر الطبيعة من أجمل الصور، لأنها تعبّر عن حالة الإنسان الداخلية، فرحه وحزنه، طموحه وضعفه، جماله وشره، فالطبيعة مكان يهرب إليه الروائي والقارئ معا ليحس بالراحة والأنس وينسجم مع تقاسيمها وما تمنحه من جمال، ومن صورة لأحاسيس وحركات الإنسان وديناميته، ومن أبرز الروائيين الذين برعوا في توظيف المكان الطبيعي؛ الروائي "واسيني الأعرج"، ولقد استوقفنا نص من روايته "البيت الأندلسي" تعبر عن هذا الرأي، ورد في الرواية مايلي:" ما تكاد الشمس تتخفى قليلا من وراء البنايات العالية التي اخترقت الحي في السنوات الأخيرة، وما تبقى من أشجار السرو المقاومة للبرد، حتى تنقطع الحركة ويموت النهار قبل أوانه مع أنها اللحظة النادرة التي يظهر فيها خط الأفق الفاصل بين السماء والبحر الذي كان جدي غاليلو ينتظره أياما وليالي، بالخصوص في الفصول الباردة، حيث تصبح رؤيته صعبة، بعد أن يتماهى مع الغيوم، أو الضباب الصاعد من أعماق البحر، خط الأفق مثل خط قوس قزح تماما، سوى أن العين لا تراه دائما ولكن القلب يدركه عندما يكون في أفقه العالي"[13]؛ فواسيني بهذا النص برع في الأخذ بالذوق إلى أماكن فريدة من نوعها، فهو يلمح ويصور لنا الصمود الذي على الإنسان أن يمتاز به كصمود أشجار الصرو في علوها ومواجهتها لكل العواصف، كما أنه يدعو الإنسان إلى التأمل وانتظار الفرصة بصمود وصبر وعزيمة، ويمثل بغاليلو الذي صبر لأيام عديدة ليشهد ظاهرة من ظواهر الطبيعة النادرة، إنه الأفق الفاصل بين السماء والبحر، فهو يدعو للنظر بالقلب والعقل والخيال، والكيان الداخلي للإنسان، فواسيني يدمجنا مع سحر الطبيعة، وسر الحياة، والنظرة المتفائلة التي تبصر الخبايا والخفايا وتتلمسها وتأخذ من سحرها وجمالها.

3-3) فضاء السجن

يعتبر السجن فضاءًا مكانيا يحمل الكثير من الرمز والإيحاء والتكثيف الدلالي،" إن التأمل في فضاء السجن بوصفه عالما مفارقًا لعالم الحرية خارج الأسوار، قد شكّل مادة خصبة للروائيين في التحليل وإصدار الانطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدلالية التي ينهض بها السجن كفضاء روائي معد لإقامة الشخصيات، خلال فترة معلومة، إقامة جبرية، غير اختيارية في شروط عقابية صارمة. وسيشكل السجن بهذا المعنى نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحظورات، فما إن تطأ أقدام النزيل عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة العذابات"[14]؛ فالسجن يعبّر عن تقييد حرية الإنسان وعن العذاب، وعن كسر كل الأحلام، ولهذا فهو يحمل شحنة دلالية حزينة وسلبية، تجعل القارئ يصاب بالحزن ويتعاطف مع السجناء المسجونين بغير وجه حق، لأن الإنسان ينتصر للحرية، والطموح، والتفاؤل، والقيام بكل ما يرغب في حدود حريته، كما أن القارئ لما يرى شخصيات الرواية في السجن سوف يدرك قيمة الحرية وعظمة نعمة الحركة كما تشاء وأينما تشاء. وهذا ما وعاه الروائيون الجزائريون. لذا استوقفتنا رواية "ليلة الانقلاب" لـ "نور الدين خبابة" الذي وظّف الفضاء المكاني "السجن"، جاء في الرواية ما يلي:" ما حيلتي؛ إن عشت مسجونا في قفص كعصفور منتوف الجناحين، وأُصبتُ بالجنون، ولم أعرف طعم الحرية...فالحرية خارج سلطتها مذلّة..."[15]،" في السجون فرّخ الإرهاب، في السجون بدأ يتكاثر، في السجون انتشر التكفير، في السّجون عشّش الحقد، وعشش الجهل وزرع الانتقام. ماذا تنتظر من إنسان فقد الإحساس؟ ماذا تنتظر من إنسان فقد الأمل؟ ماذا تنتظر من إنسان جسمه يتم تشليحه وتخليعه ويوضع ساعات تحت شمس تشبه سقر؟ ماذا تنتظر من إنسان يوضع أمام القمامة، ويُطلى بالماء والسكر حتى يصبح جسمه كالمغناطيس يجذب الذباب؟"[16]؛ فلما نتأمل في هذا المقطع الروائي الذي يعبر عن المآسي والآلام التي ترافق السجون فإننا سنصاب بالصدمة ويتحرك لدينا الفضول والتساؤل؟ لماذا تهدم كرامة الإنسان؟ وهل للإنسان حق في الظلم والدوس على كرامة الآخر؟ هل ماتت فينا الإنسانية حتى صرنا وحوشا؟ ستتحرك فينا المعاني والصور، ونقف بدهشة أمام مقطع كهذا، لقد وُفِّق الروائي نور الدين في تصوير السجن ببشاعته، إنه يدعو للحرية وحق الإنسان في التعبير عن أفكاره البناءة، لقد كانت لديه الجرأة في نقل بشاعة السجن وهول ما يحدث لنزلائه. إن السجن أيقونة دلالية صاحبت الرواية الجزائرية المعاصرة وأتت بفعلها على القارئ.

4-3) فضاء المدينة

تعتبر المدينة والأحياء من الرموز والصور الهامة المصاحبة للعمل الروائي للكتاب الجزائريين وغيرهم من الكتاب، فـ:" من الواضح أن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها. وتمدّنا دراسة هذه الفضاءات الانتقالية المبثوثة هنا وهناك في الخطاب الروائي بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم ستساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[17]؛ فالحياة تدور في المدينة وأحيائها وأزقتها، إن المدينة مكان لتشكيل التاريخ ولاحتكاك الإنسان بأخيه الإنسان، ومنها نستمد الخبرة والمواقف والقصص والحكايات، ومنها تتشكل الصور الأيقونية وتتشبع الذاكرة بالمعاني والآمال والآلام، وبالتالي فإن توظيفها في العمل الروائي يزيدها خصوبة وعمقا ودلالة.

لقد أبدع الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" في تصوير الفضاء المكاني في رواية "بان الصبح"، فـ:"...هو يصف أحيانا بعض الأماكن بكل دقة حتى يقرب هذه البيئة من القارئ [وكانتا قد وصلتا إلى نهاية نهج شاراس المتصل في أسفله بشارع العقيد عميروش، فرجعتا معه في اتجاه موقف التافورة الذي يقع في أسفل البريد المركزي إلى جانب حديقة صوفيا (بان الصبح، ص 90)]؛ مثل هذا الوصف نعثر عليه في مواضيع أخرى من الرواية، ولذلك نشعر في كثير من الأحيان أن الكاتب يتحدث عن حياتنا اليومية العادية، فالبيئة هي العاصمة، بهمومها المختلفة ومشاكلها، ومن بينك ذلك مثلا، مشكل المواصلات، والسرقة في الحافلات، والخصومات، وفوضى الأطفال المهملين في الساحات والشوارع...إلخ"[18]؛ فالروائي الجزائري يعرف الأماكن جيّدا، ويعرف ما يدور فيها من مشاكل وهموم ومآسٍ، ولهذا ارتبطت بذهنه ولم تغيب عنه وقت الكتابة، فهو بهذا طبيبٌ للمجتمع يعرف مشاكله التي يتخبط فيها، يريد وضع القارئ في صلب الواقع، وبين عرصات الفضاء المكاني المعاش، فيتألّم ويحس كل من الكاتب والقارئ ويحاولا إحداث تغيير لهذا الروتين القاتل، ويتولد الرفض لما هو موجود، وكذلك، تتوالد الرغبة في التغيير وإحداث أماكن تعكس صورة حضارية عن الفرد الجزائري.

لقد برعت الروائية "أحلام مستغانمي" في توظيف فضاء المدينة، فقد وظّفت مدينة "قسنطينة" في روايتها "ذاكرة الجسد"، مما زاد الرواية أصالة وعمقا وترميزا، جاء في روايتها:" أُغلق باب غرفتي وأُشرّع النافذة...أحاول أن أرى شيئا آخر غير نفسي. وإذا النافذة تطلّ عليّ...تمتدُّ أمامي غابات الغار والبلّوط، وتزحف نحوي قسنطينة ملتحفة ملاءتها القديمة، وكل تلك الأدغال والجروف والممرّات السرية التي كنت يومًا أعرفها، والتي تحيط بها المدينة كحزام أمان، فتوصلك مسالكها المتشعبة، وغاباتها الكثيفة، إلى القواعد السرية للمجاهدين، وكأنها تشرح لك شجرة بعد شجرة ومغارة بعد أخرى. إن كل الطرق في هذه المدينة العربية العريقة، تؤدي إلى الصمود، وإن كل الغابات والصخور هنا قد سبقتك في الانخراط في صفوف الثورة"[19]؛ فقسنطينة مدينة ملهمة بحق، ولهذا استعانت بها مستغانمي، ملهمةٌ بقِدمِها وتاريخها، بشوارعها وأزقتها الضيقة، بشموخ جبالها، الذي يرمز لشموخ وعلو الجزائري الذي يأبى الاستعمار والخضوع، كل مكان فيها يحكي تاريخ وشعب وأفراد قدّموا أروع وأنبل آيات الجهاد والتضحية تحتضنك قسنطينة بجمال وروعة بناياتها وغاباتها الكثيفة التي يفوح منها عبق التاريخ والحضارة، تغنّى بها الشعراء والكتّاب، فكانت مدينة الرمز والإيحاء والتدليل، فهي فضاء يحمل العديد من النظم السيميائية: البساطة، التضحية، العلم، الرجال، الطبيعة، والفن المعماري الراقي، وهذا ما وجدته الروائية مستغانمي في توظيفها لأيقونة قسنطينة.

4) خاتمة

إن الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة مكسبٌ ثمين للإنسانية، تصوّر واقع البشر، جمالهم وقبحهم، وقد انفردت الرواية الجزائرية بخصوصيات جعلتها ترقى لمصافي العالمية، فالرواية الجزائرية تنقل حقبة زمنية من الحقب التي يعيشها الجزائري بهمومه ومشاكله، فهي فضاء مكاني موغل في التدليل والثراء المعنوي، كما أن الفضاء المكاني المرافق مميز ومتماشٍ مع آراء المنظرين المعروفين في جماليات المكان، فالروائي الجزائري يعرف بيئته، وجغرافيته التي تخبئ الكثير من

الذكريات والتفاعلات البشرية، ولهذا وظّف الروائي الجزائري المعاصر المكان باحترافية، وأخصب الرواية الجزائرية ونهض بسرديتها المتقنة البالغة الأثر على القارئ والناقد معا، ومع تنامي النتاج الروائي يوما بعد يوم، فإن الدارسين من الجزائر أو غيرها مدعوون للولوج في بنيات النص الروائي لكشف أدغاله وعناصره المميزة التي تطبعه.

5) قائمة المصادر والمراجع

5-1) المصادر

- ابن منظور، لسان العرب، ج12، ج14، ج15، دار صادر، بيروت.
- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، ط15، بيروت، 2000.
- أمين الزاوي، رواية وحشة اليمامة، دار الغرب، وهران، 2002.
- نور الدين خبابة، رواية ليلة الانقلاب، ط1، 2015.
- واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، منشورات الجمل، ط1، بيروت، 2010.

5-2) المراجع

- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 1990.
- حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، دار نينوى، دمشق، 2011.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1984 .
- مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2002.

6) الهوامش

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، دار صادر، بيروت، ص 310 .
[2]- المصدر نفسه، ص 312 .
[3]- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2002، ص: 177، 178 .
[4]- المرجع نفسه، ص 185 .
[5]- ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ص 157 .
[6]- حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، دار نينوى، دمشق، 2011، ص 27 .
[7]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 1990، ص 32 .
[8]- ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص 348 .
[9]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 27 .
[10]- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1984، ص 37 .
[11]- أمين الزاوي، رواية وحشة اليمامة، دار الغرب، وهران، 2002، ص 42 .
[12]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ص: 172، 173 .
[13]- واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، منشورات الجمل، ط1، بيروت، 2010، ص 210 .
[14]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 55 .
[15]- نور الدين خبابة، رواية ليلة الانقلاب، ط1، 2015، ص 07 .
[16]- المرجع نفسه، ص 72 .
[17]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79 .
[18]- مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص 134 .
[19]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، ط15، بيروت، 2000، ص 25 .